

لا تنتقد!!

ركب سيارة صاحبه.. فكانت أول كلمة قالها: يااااه!! ما أقدم سيارتك!! ولما دخل بيته.. رأى الأثاث فقال: أووووه.. ما غيرت أثاثك؟! ولما رأى أولاده.. قال: ما شاء الله.. حلوين.. لكن لماذا لا تلبسهم ملابس أحسن من هذه!! ولما قدمت له زوجته طعامه.. وقد وقفت المسكينة في المطبخ ساعات.. رأى أنواعه فقال: يااا الله.. لماذا ما طبخت رز؟ أوووه.. الملح قليل! لم أكن أشتهي هذا النوع!!



دخل محلاً لبيع الفاكهة.. فإذا المحل مليء بأصناف الفواكه.. فقال: عندك مانجو؟ قال صاحب المحل: لا.. هذه في الصيف فقط.. فقال: عندك بطيخ؟ قال: لا.. فتغير وجهه وقال: ما عندك شيء.. فلماذا تفتح محلاً! وخرج.. ونسي أن في المحل أكثر من أربعين نوعاً من الفواكه..

نعم.. بعض الناس يزعجك بكثرة انتقاده.. ولا يكاد يعجبه شيء.. فلا يرى في الطعام اللذيذ إلا الشعرة التي سقطت فيه سهواً.. ولا في الثوب النظيف إلا نقطة الحبر التي سالت عليه خطئاً.. ولا في الكتاب المفيد إلا خطئاً مطبعياً وقع سهواً.. فلا يكاد يسلم أحد من انتقاده.. دائم الملاحظات.. يدقق على الكبيرة والصغيرة..

أعرف أحد الناس.. زاملته طويلاً في أيام الثانوية والجامعة.. ولا تزال علاقتنا مستمرة.. إلا أني لا أذكر أنه أثنى على شيء.. اسأله عن كتاب ألفته وقد أثنى عليه أناس كثيراً وطبع منه مئات الآلاف فيقول ببرود: والله جيد.. ولكن فيه قصة غير مناسبة.. وحجم الخط ما أعجبني.. ونوعية الطباعة أيضاً سيئة.. و...

واسأله يوماً عن أداء فلان في خطبته.. فلا يكاد يذكر جانباً مشرقاً.. حتى صار أثقل عليَّ من الجبل.. وصرت لا أسأله أبداً عن رأيه في شيء لأني أعرفه سلفاً..

قل مثل ذلك فيمن يفترض المثالية في جميع الناس.. فيريد من زوجته أن يكون بيتها نظيفاً ٢٤ ساعة ١٠٠٪ .. ويريدها أيضاً أن يبقى أطفالها نظيفين متزينين على مدى اليوم.. وإن زاره ضيوف افترض أن تطبخ أحسن الطعام. وإن جالسها افترض أن تحدثه بأجمل الأحاديث.. وكذلك هو مع أولاده.. يريدهم ١٠٠٪ في كل شيء.. ومع زملائه.. ومع كل من يخالطه في الشارع والسوق.. و...



وإن قصَّر أحد من هؤلاء أكله بلسانه وأكثر عليه الانتقاد وكرر الملاحظات.. حتى يملّ الناس منه.. لأنه لا يرى في الصفحة البيضاء إلا الأسود..

من كان هذا حاله عذب نفسه في الحقيقة.. وكرهه أقرب الناس إليه واستثقلوا مجالسته..

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذا ظمئت، وأي الناس تصفو مشاربه؟!
إذا كنت في كل الأمور معاتباً رفيقك لن تلق الذي ستعاتبه

سبحان الله!! والله يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[1].



قالت أُمُّنا عائشة وهي تصف حال تعامله ﷺ معهم:

ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط.. إن اشتهاه أكله وإلا تركه[2].. نعم ما كان يصنع مشكلة من كل شيء..

وقال أنس رضي الله عنه: والله لقد خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين.. ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب عليَّ شيئاً قط.. ووالله ما قال لي أفٍّ قط.. هكذا كان.. وهكذا ينبغي أن نكون..

(١) الأنعام: ١٥٢
(٢) متفق عليه.

وأنا بذلك لا أدعو إلى ترك النصيحة أو السكوت عن الأخطاء.. ولكن لا تكن مدققاً في كل شيء.. خاصة في الأمور الدنيوية.. تعود أن تمشّي الأمور..

لو طرق بابك ضيف فرحبت به وأدخلته غرفة الضيوف فلما أحضرت الشاي تناول الفنجان.. فلما نظر إلى الشاي بداخله قال: لمَ لَمْ تملأ الفنجان؟ فقلت: أزيدك؟ قال: لا.. لا.. يكفي.. فطلب ماء فأحضرت له كأس ماء فشربه.. فلما انتهى قال: ماؤكم حار.. ثم التفت إلى المكيف وقال: مكيفكم لا يبرّد!! وجعل يشتكي الحر.. ثم... ألا تشعر بثقل هذا الإنسان.. وتتمنى لو يخرج من بيتك ولا يعود..

إذن الناس يكرهون الانتقاد الكثير.. لكن إن احتجت إليه فغلفه بغلاف جميل ثم قدمه للآخرين.. قدمه في صورة اقتراح.. أو بأسلوب غير مباشر.. أو بألفاظ عامة..

كان رسول الله ﷺ إذا لاحظ خطئاً على أحد لم يواجهه به وإنما يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا.. يعني: إياك أعني واسمعي يا جارة..

في يوم من الدهر أقبل ثلاثة شباب متحمسين.. إلى المدينة النبوية.. كانوا يريدون معرفة كيفية عبادة النبي ﷺ وصلاته.. سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر.. فأخبرتهم زوجات النبي ﷺ أنه يصوم أحياناً ويفطر أحياناً.. وينام بعضاً من الليل ويصلي بعضه..

فقال بعضهم لبعض: هذا رسول الله ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه.. ثم اتخذ كل واحد منهم قراراً..! فقال أحدهم: أنا لن أتزوج.. أي سأبقى عزباً.. متفرغاً للعبادة.. وقال الآخر: وأنا سأصوم دائماً.. كل يوم.. وقال الثالث: وأنا لا أنام الليل.. أي سأقوم الليل كله..

فبلغ النبي ﷺ ما قالوه.. فقام على منبره.. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام!! (هكذا مبهماً، لم يقل ما بال فلان وفلان).. ما بال أقوام قالوا: كذا وكذا.. لكني أصلي وأنام.. وأصوم وأفطر.. وأتزوج النساء.. فمن رغب عن سنتي فليس مني[1].

(١) متفق عليه.

وفي يوم آخر.. لاحظ النبي ﷺ أن رجالاً من المصلين معه.. يرفعون أبصارهم إلى السماء في أثناء صلاتهم.. وهذا خطأ فالأصل أن ينظر أحدهم إلى موضع سجوده.. فقال ﷺ: ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم.. فلم ينتهوا عن ذلك واستمروا يفعلونه.. فلم يفضحهم أو يُسمِّهم بأسمائهم.. وإنما قال: لينتهن عن ذلك.. أو لتخطفن أبصارهم..[١]

وكانت (بريرة) جارية أمة مملوكة في المدينة.. أرادت أن تعتق من الرق.. فطلبت ذلك من سيدها.. فاشترط عليها مالاً تدفعه إليه.. فجاءت (بريرة).. إلى عائشة تلتمس منها أن تعينها بمال.. فقالت عائشة: إن شئت أعطيت أهلك ثمنك.. فتعتقين.. لكن يكون الولاء لي..[٢] فأخبرت الجارية أهلها فأبوا ذلك.. وأرادوا أن يربحوا الأمرين.. ثمن عتقها.. وولاءها!!

فسألت عائشة النبي ﷺ.. فعجب ﷺ من حرصهم على المال.. ومنعهم للمسكينة من الحرية!! فقال لعائشة: ابتاعيها.. فأعتقيها.. فإنما الولاء لمن أعتق.. أي الولاء لك ما دام أنك دفعت المال.. ولا تلتفتي إلى شروطهم فهي ظالمة.. ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: ما بال أقوام (ولم يقل آل فلان).. يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله.. من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله.. فليس له.. وإن اشترط مائة شرط[٣].. نعم هكذا.. لوّح بالعصا من بعيد ولا تضرب بها..

فما أجمل أن تقول لزوجتك المهملة في نظافة بيتها البارحة تعشينا عند صاحبي فلان وكان الجميع يثني على نظافة منزله.. أو تقول لولدك المهمل للصلاة في المسجد..: أنا أعجب من فلان ابن جيراننا ما نكاد نفقده في المسجد أبداً..!! يعني.. إياك أعني واسمعي يا جارة!!



(١) رواه البخاري.

(٢) الولاء: هو إذا أعتق الشخص عبداً مملوكاً صار الولاء للمعتق، بمعنى أن المعتق يدخل ضمن ورثة هذا العبد المملوك بعد موته، فيشارك أهل العبد في ورثه.

(٣) متفق عليه.

ويحق لك أن تسأل: لماذا يكره الناس الانتقاد؟ فأقول: لأنه يشعرهم بالنقص.. فكل الناس يحبون الكمال..



ذكروا أن رجلاً بسيطاً أراد أن يكون له شيء من التحكم.. فعمد إلى تُرْمُسَيْ ماء أحدهما أخضر والثاني أحمر... وعبأهما بالماء البارد.. ثم جلس للناس في طريقهم.. وجعل يصيح: ماء بارد مجاناً..

فكان العطشان يُقبل عليه ويتناول الكأس ليصب لنفسه يشرب.. فإذا رآه صاحبنا قد توجه للترمس الأخضر.. قال له: لا .... أشرب من الأحمر.. فيشرب من الأحمر.. وإذا أقبل آخر.. وأراد أن يشرب من الأحمر.. قال له: لا .. أشرب من الأخضر..

فإذا اعترض أحدهم.. وقال: ما الفرق؟! قال: أنا المسؤول عن الماء.. يعجبك هذا النظام أو دبر لنفسك ماءً..

إنه شعور الإنسان الدائم بالحاجة إلى اعتباره والاهتمام به...

نحلة.. وذباب!!

كن كالنحلة تقع على الطيب وتتجاوز الخبيث..

ولا تكن كالذباب.. يتتبع الجروح!!



لا تكن أســـتاذياً

قـارن بـين ثلاثـة آبـاء .. رأى كل واحـد ولده جالسـاً عنـد التلفـاز في أيام الامتحانات..

- فقال الأول لولده: يامحمد.. ذاكر دروسك..
- قـال الثانـي: ماجد.. إذا لم تذاكر دروسـك فوالله لأضربـك.. وأحرمك من المصروف.. و...
- أما الثالث فقال: صالح.. لو تذاكر دروسك.. أحسن لك من التلفاز،... صح؟!

أيهم أحســن أسـلوباً..؟ لاشـك أنه الثالث.. لأنه قدم أمره على شـكل اقتراح.. وكذلـك... في التعامـل مع زوجتك.. سـارة ليتـك تعملين شـاياً.. هند أتمنى أن أتغدى مبكراً اليوم..

وكذلك... عندما يخطئ إنسان.. عالج خطأه بأسلوب يجعله يشعر أن الفكرة فكرته هو.. ولدك يغيب عن الصلاة في المسـجد.. قُلْ له – مثلاً –: سعد... أما تريد أن تدخل الجنة.. بلى.. إذن حافظ على صلاتك...



في يـوم من الأيـام.. وفي خيمة أعرابـي في الصحراء.. جعلت امرأة تتأوه تلد.. وزوجها عند رأسها ينتظر خروج المولود.. اشتد المخاض بالمرأة حتى انتهت شدتها وولدت.. لكنها ولدت غلاماً أسـود!! نظر الرجل إلى نفسه.. ونظر إلى امرأته فـإذا هما أبيضان.. فعجب كيف صار الغلام أسود!! أوقع الشيطان في نفسه الوساوس.. لعل هذا الولد من غيرك!! لعلها زنى بها رجل أسود فحملت منه!! لعل..

اضطـرب الرجـل.. ذهـب إلى المدينة النبويـة حتى دخل على رسـول الله ﷺ وعنده أصحابه.. فقال: يارسول الله... إن امرأتي ولدت على فراشي غلاماً أسود!! وإنّا أهل بيت لم يكن فينا أسود قط!!

نظر النبي ﷺ إليه.. وكان قادراً على أن يسـمعه موعظة حول حسـن الظن بالآخريـن.. وعـدم اتهام امرأته.. لكنه أراد أن يمارس معه في الحل أسـلوباً آخر.. أراد أن يجعـل الرجـل يحـل مشـكلته بنفسـه.. فبدأ يضـرب له مثـلاً يقرب له الجـواب.. فما المَثَلُ المناسـب لـه؟ هل يضرب له مثـلاً بالأشـجار؟ أم بالنخل؟ أم بالفرس والروم؟

نظـر إليه ﷺ فإذا الرجل عليه آثار البادية.. وإذا هو مضطرب تتزاحم الأفكار في رأسه حول امرأته.. فقال له ﷺ:

- هل لك من إبل؟
- قال: نعم..
- قال: فما ألوانها؟
- قال: حمر..
- قال: فهل فيها أسود؟
- قال: لا..
- قال: فيها أوْرَق؟
- قال: نعم..
- قال: فأنَّى كان ذلك؟!



يعني: ما دام أنها كلها حمر ذكوراً وإناثاً.. وليس فيها أي لون آخر.. فكيف ولـدت الناقة الحمراء ولـداً أورق.. يختلف عن لونها ولـون الأب (الفحل).. فكر الرجل قليلاً.. ثم قال:



◄ عسى أن يكون نزعه عرق..

يعني قد يكون من أجداده من هو أورق... فلا زال الشبه باقياً في السلالة... فظهر في هذا الولد...

◄ فقال ﷺ: فلعل ابنك هذا نزعه عرق..[١]

سمع الرجل هذا الجواب.. فكر قليلاً فإذا هو جوابه هو.. والفكرة فكرته... فاقتنع وأيقن.. ومضى إلى امرأته..

وفي يوم آخر.. جلس ﷺ مع أصحابه.. فجعل يحدثهم عن أبواب الخير.. وكان مما ذكره.. أن قال:

◄ وفي بضع أحدكم صدقة..

أي وطء أحدكم امرأته له فيه أجر.. فعجب الصحابة،

◄ وقالوا: يارسول الله... يأتي أحدنا شهوته.. ويكون له أجر؟!

فأجابهم ﷺ بجواب يشعرون به أن الفكرة فكرتهم.. فلا يحتاجون لنقاش لإقناعهم بها..

◄ فقال ﷺ: أرأيتم لو وضعها في حرام... أكان عليه وزر..

◄ قالوا: نعم..

◄ قال: فكذلك لو وضعها في حلال كان له أجر..

بل حتى أثناء الحوار مع الآخر.. تدرج معه عند النصح في الأشياء التي أنتما متفقان عليها..

(١) رواه مسلم؛ وابن ماجة واللفظ له.

خـرج ﷺ إلى مكة معتمراً في ألـف وأربعمائة من أصحابه.. فمنعتهم قريش مـن دخول مكة.. ووقعت أحـداث قصة الحديبية المشـهورة.. في آخر الأمر وبعد مشاورات طويلة بين النبي ﷺ وقريش.. اتفقوا على صلح..

كان الـذي تولى الاتفـاق على بنود الصلح من جانب قريش هو (سـهيل ابن عمرو).. اتفق النبي ﷺ مع (سهيل) على شروط... منها:

- أن يعود المسلمون أدراجهم إلى المدينة من غير عمرة..
- وأن مـن دخـل في الإسـلام مـن أهـل مكـة وأراد أن يهاجـر إلى المدينة فإن المسلمين في المدينة لا يقبلونه...
- أما من ارتد عن إسلامه وأراد الذهاب إلى المشركين في مكة فإنه يقبل..!! إلى غير ذلك من الشروط التي في ظاهرها أنها هزيمة للمسلمين وإذلال لهم..

كانـت قريش في الواقـع خائفة من هـذا العدد الكبير من المسـلمين.. وتعلم أن المسـلمين لو شـاءوا لفتحوا مكة.. ولهـذا كانت قريش تضطـر إلى التلطف والمصانعة.. وكأني بهم.. ما كانوا يحلمون أن يظفروا ولا بربع هذه الشروط..

كان أكثر الصحابة متضايقاً من شروط العقد.. لكن أنّى لهم أن يعترضوا.. والذي يكتب العقد ويمضيه رجل لا ينطق عن الهوى..

كان (عمر) متحفزاً.. ينظر يميناً وشمالاً.. يتمنى لو يسـتطيع عمل شـيء.. فلم يصبر..

وثـب (عمـر) فأتـى (أبـا بكـر).. وأراد أن يناقشـه.. فمـن حكمتـه.. لم يبـدأ بالاعتراض.. وإنما بدأ بالأشـياء التي هما متفقان عليها.. وجعل يسـأل (أبا بكر) أسئلة جوابها... بلى .. نعم.. صحيح..

➤ فقال: يا (أبا بكر).. أليس برسول الله...؟!

➤ قال: بلى..

- قال: أولسنا بالمسلمين؟!
- قال: بلى...
- قال: أوليسوا بالمشركين؟!
- قال: بلى...
- قال: أولسنا على الحق؟
- قال: بلى...
- قال: أوليسوا على الباطل؟
- قال: بلى...
- قال: فعلام نُعطي الدَّنيَّة في ديننا؟!
- فقال (أبو بكر): يا (عمر).. أليس هو رسول الله..؟
- قال: بلى..
- قال: فالزم غِرْزه.. فإني أشهد أنه رسول الله..



أي كـن وراءه تابعاً لا تخالفه أبداً... كما أن غرزات الخيط في الثوب تكون متتابعة..

- قال (عمر): وأنا أشهد أنه رسول الله...

مضى (عمر).. حاول أن يصبر... فلم يستطع.. فذهب إلى رسول الله ﷺ...

- فقال: يارسول الله... ألست برسول الله؟!
- قال: بلي..
- قال: ألسنا بالمسلمين..؟!

- قال: بلى..
- قال: أوليسوا بالمشركين..؟!
- قال: بلى..
- قال: فعلام نعطي الدَّنيَّة في ديننا؟!
- فقال ﷺ: أنا عبدالله ورسوله.. لن أخالف أمره.. ولن يضيعني..

سكت عمر.. ومضى الكتاب.. ورجع المسلمون إلى المدينة.. ومضت الأيام.. ونقضت قريش العهد.. وأقبل رسول الله ﷺ فاتحاً مكة.. مطهراً البيت الحرام من الأصنام.. وأدرك (عمر) أنه كان في اعتراضه حينذاك على غير السبيل.. فكان رضي الله عنه يقول: ما زلت أصوم.. وأتصدق.. وأصلي... وأعتق... من الذي صنعت يومئذ.. مخافة كلامي الذي تكلمته يومئذ.. حتى رجوت أن يكون خيراً.. فلله در عمر.. ودر رسول الله ﷺ قبله...

كيف نستفيد أكثر من هذه المهارة؟

لو كان ولدك لا يعتني بحفظ القرآن.. وتريده أن يزداد حرصاً.. ابدأ بالأشياء التي أنتما متفقان عليها..



- ألا تريد أن يحبك الله؟... ألا تريد أن ترتقي في درجات الجنة؟..
- سيجيبك حتماً: بلى..

عندها قدم النصيحة على شكل اقتراح:

- إذن فلو أنك شاركت في حلقة تحفيظ القرآن...

كذلك أنتِ: لو رأيت امرأة لا تعتني بحجابها.. ابدئي معها بالأشياء التي أنتما متفقتان عليها..

- أنا أعلم أنك مسلمة.. وحريصة على الخير..
- ستقل: صحيح..
- الحمد لله.. وامرأة عفيفة... وتحبين الله..
- ستقول: إي والله... الحمد لله..
- عندها قدمي النصيحة على شكل اقتراح: فلو أنك اعتنيت بحجابك أكثر.. وحرصت على الستر..

هكذا يمكننا أن نحصل على ما نريد من الناس من غير أن يشعروا...





أمسك العصا من النصف!!

أشكرك على اختيارك مهنة التدريس... وقد آتاك الله أسلوباً حسناً.. وطلابك يحبونك كثيراً.. و... ولكن: أتمنى أن لا تتأخر على الدوام صباحاً..

أنت جميلة.. والبيت مرتب.. ولا أنكر أن الأولاد مُتعبون.. و... ولكن: أتمنى أن تهتمي بملابسهم أكثر...

هكذا كان أسلوب صالح مع الناس... يذكر الجوانب المشرقة عند المخطئ ثم ينبهه على أخطائه... ليكون عادلاً..

عندما تنتقد حاول أن تذكر جوانب الصواب في المخطئ.. قبل غيرها.. حاول دائماً أن تشعر الذي أمامك أن نظرتك إليه مشرقة.. وأنك عندما تنبهه على أخطائه لا يعني ذلك أنه سقط من عينك..أو أنك نسيت حسناته ولا تذكر إلا سيئاته.. لا... بل أشعره أن ملاحظاتك عليه تغوص في بحر حسناته..

كان النبي ﷺ محبوباً بين أصحابه.. كان يُمارس أساليب رائعة في التعامل معهم.. وقف مرة بينهم.. فشخص ببصره إلى السماء.. كأنه يفكر أو يترقب شيئاً..

- ثم قال: هذا أوان يُختلس العلم من الناس.. حتى لا يقدروا منه على شيء...

أي: يعرض الناس عن القرآن وتعلمه.. وعن العلم الشرعي.. فلا يحرصون عليه ولا يفهمونه.. فيُختلسُ منهم .. أي: يرفع عنهم.. فقام صحابي جليل.. هو (زياد ابن لبيد) الأنصاري وقال بكل حماس:

- يارسول الله، وكيف يختلس منا؟! وقد قرأنا القرآن! فوالله لنقرأنه، ولنُقرئنه نساءنا وأبناءنا..

فنظر إليه النبي ﷺ .. فإذا شاب يتفجّر حماساً وغيرة على الدين.. فأراد أن ينبهه على فهمه..

فقال ﷺ: ثكلتك أمك يا(زياد)، إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة..



وهذا ثناء على (زياد)... أن يقول له رسول الله ﷺ أمام الناس إنه من فقهاء المدينة... هذا ذكر لجوانب الصواب والصفحات المشرقة لزياد..

ثم قال ﷺ: هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟![1]

أي ليست العبرة يا (زياد) بوجود القرآن.. وإنما العبرة بقراءته ومعرفة معانيه والعمل بأحكامه.. هكذا كان تعامله رائعاً..

وفي يوم آخر.. يمر ﷺ ببعض قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام.. وكان يختار أحسن العبارات لأجل ترغيبهم في الاستجابة له والدخول في الإسلام..

فمرّ بقبيلة منهم.. أسمهم، (بنو عبدالله) ... فدعاهم إلى الله... وعرض عليهم نفسه... وجعل يقول لهم: يابني عبدالله... إن الله قد أحسن اسم أبيكم...

يعني لستم ببني عبدالعزى.. أو بني عبداللات.. وإنما أنتم بنو عبدالله... فليس في اسمكم شرك فادخلوا في الإسلام...

بل كان من براعته ﷺ أنه كان يرسل رسائل غير مباشرة إلى الناس.. يذكر فيها إعجابه بهم.. ومحبته الخير لهم.. فإذا بلغتهم هذه الرسائل.. عملت فيهم من التأثير أكثر مما تعمله - ربما - الدعوة المباشرة..

كان (خالد بن الوليد) ﷺ بطلاً... ولم يكن بطلاً عادياً.. بل كان بطلاً مغواراً.. يُضرب له ألف حساب.. وكان النبي ﷺ يتشوق لإسلامه.. لكن أنىّ له

(١) رواه الترمذي والحاكم وهو صحيح

ذلـك.. و(خالد) ما ترك حرباً ضد المسـلمين إلا خاضهـا... بل كان هو من أكبر أسباب هزيمة المسلمين في معركة أحد..

قال فيه النبي ﷺ يوماً: لو جاءنا لأكرمناه.. وقدمناه على غيره..

فكيف كان تأثير ذلك؟ خُذ القصة من أولها..

كان (خالد) من أشـداء الكفار وقادتهم.. لا يكاد يفوت فرصة إلا حارب فيها رسول الله ﷺ أو ترصّد له...

فلما أقبل رسول الله ﷺ مع المسلمين إلى الحديبيـة... وأرادوا العمـرة.. خرج (خالـد) في خيل من المشـركين.. فلقوا النـبي ﷺ وأصحابـه بموضـع يقال له: (عسفان)...



فقام (خالد) قريباً منهم يتحين الفرصة ليصيب رسـول الله ﷺ برمية سهم أو ضربة سيف.. جعل يترصّد ويترقب... فصلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الظهر أمامهـم.. فهموا أن يهجموا عليهم... فلم يتيسـر لهم.. فـكان النبي ﷺ علم بهم.. فصلـى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف.. أي قسـم أصحابه إلى فريقين... فريق يصلي معه وفريق يحرس...

فوقـع ذلك من (خالد) وأصحابـه موقعاً.. قال في نفسـه: الرجل ممنوع عنا.. أي هناك من يحميه ويمنع عنه الأذى!! ثم ارتحل ﷺ وأصحابه.. وسلكوا طريقاً ذات اليمين... لئلا يمروا بخالد وأصحابه..

وصل ﷺ إلى الحديبية.. صالح قريشـًا على أن يعتمر في العام القادم.. ورجع إلى المدينة.. رأى (خالد) أن قريشـاً لا يزال شـأنها ينخفـض في العرب يوماً بعد يوم.. فقال في نفسـه: أي شـيء بقي؟ أين أذهب؟ إلى النجاشي؟... لا ... فقد اتبع محمـداً وأصحابه عنـده آمنون... فأخـرج إلى هرقل؟.. لا... أخـرج من ديني إلى نصرانية؟.. أو يهودية؟ وأقيم في عَجَم؟..

فبينمـا (خالد) يفكر في شـأنه.. ويتردد.. والأيام والشـهور تمضي عليه.. حتى انقضت سـنـة كاملة.. وجاء موعد عمرة المسلمين.. فأقبلوا إلى المدينة.. دخل ﷺ مكـة معتمراً.. فلم يحتمل (خالد) رؤية المسـلمين محرمـين.. فخرج من مكة.. وغاب أربعة أيام وهي الأيام التي قضاها النبي ﷺ في مكة..

قضـى النـبي ﷺ عمرته.. وجعـل ينظر في طرقـات مكة وبيوتها.. ويسـتعيد الذكريـات... تذكر البطل (خالد بن الوليد)... فالتفت إلى (الوليد بن الوليد)... وهـو أخو (خالد)... وكان (الوليد) مسـلماً قد دخل مع النـبي ﷺ معتمراً.. وأراد ﷺ أن يبعث إلى (خالد) رسالة غير مباشرة... يُرغِّبه فيها بالدخول في الإسلام..

- قال ﷺ للوليد: أين (خالد)؟



- فوجيء (الوليد) بالسؤال... وقال: يأتي الله به يارسول الله..
- فقال ﷺ: مِثْله يجهل الإسـلام!! ولو كان جعـل نكايتـه وَحَـدَّه مع المسـلمين.. كان خيراً له..

ثم قال: ولو جاءنا لأكرمناه.. وقدمناه على غيره..

استبشـر (الوليد).. وجعل يطلـب (خالداً) ويبحث عنه في مكـة... فلم يجده.. فلما عزموا على الرجوع للمدينة.. كتب (الوليد) كتاباً إلى أخيه:

بسـم الله الرحمـن الرحيم... أما بعد... فإنـي لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام.. وعقْلَك عقْلَك! ومثل الإسلام يجهله أحد؟

وقد سـألني رسول الله ﷺ عنك وقال: «أين خالد؟» فقلت: يأتي الله به.. فقال: «مثله جهل الإسـلام!! لو كان جعل نكايته وَحَدَّه مع المسـلمين.. كان خيراً له.. ولـو -جاءنا لأكرمناه.. وقدمناه على غيره..» فاسـتدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة...

قال خالد: فلما جاءني كتابه.. نشطت للخروج.. وزادني رغبة في الإسلام.. وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني.. وأرى في النوم كأني في بلاد ضيقة مجدبة.. فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة.. فقلت: إن هذه لرؤيا حق..

فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت: من أصاحب إلى رسول الله ﷺ؟! فلقيت (صفوان بن أمية).. فقلت: يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن كأضراس يطحن بعضها بعضاً.. وقد ظهر (محمد) على العرب والعجم.. فلو قدمنا على (محمد) واتبعناه.. فإن شرف (محمد) لنا شرف؟ فأبى أشد الإباء.. وقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً.. فافترقنا... وقلت في نفسي: هذا رجل مُصَاب.. قُتل أخوه وأبوه بمعركة بدر..

فلقيت (عكرمة بن أبي جهل)... فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية.. فقال لي مثل ما قال لي (صفوان بن أمية).. قلت: فاكتم عليَّ خروجي إلى محمد.. قال: لا أذكره لأحد..

فخرجت إلى منزلي.. فأمرت براحلتي فخرجت بها.. إلى أن لقيت (عثمان بن طلحة).. فقلت: إن هذا لي صديق.. فلو ذكرت له ما أرجو.. ثم ذكرت من قتل من آبائه في حربنا مع المسلمين.. فكرهت أن أذكِّره.. ثم قلت: وما عليَّ أن أخبره.. وأنا راحل في ساعتي هذه!.. فذكرت له ما صار أمر قريش إليه.. وقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر.. لوصُب عليه ذَنُوبٌ من ماء لخرج.. وقلت له نحواً مما قلت لصاحبي.. فأسرع الاستجابة وعزم على الخروج معي للمدينة!.. فقلت له: إني خرجت هذا اليوم.. وأنا أريد أن أمضي للمدينة.. وهذه راحلتي مجهزة لي على الطريق..

قال: فتواعدنا أنا وهو في موضع يقال له (يأجج).. إن سبقني أقام ينتظرني... وإن سبقته أقمت انتظره...

فخرجت من بيتي آخر الليل سَحَراً.. خوفاً من أن تعلم قريش بخروجنا... فلم يطلع الفجر حتى التقينا في (يأجج).. فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة.. فوجدنا (عمرو بن العاص) على بعيره..

- قال: مرحباً بالقوم.. إلى أين مسيركم؟
- فقلنا: وما أخرجك؟
- فقال: وما أخرجكم؟
- قلنا: الدخولُ في الإسلام.. واتباع محمد ﷺ
- قال: وذاك الذي أقدمني.



فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة.. فأنخنا بظهر الحرة ركابنا..

فأُخبر بنا رسول الله ﷺ فسُرّ بنا.. فلبست من صالح ثيابي.. ثم توجهت إلى رسول الله ﷺ .. فلقيني أخي فقال:

- أسرع... فإن رسول الله ﷺ قد أُخبر بك فُسَّر بقدومك وهو ينتظركم..

فأسرعنا السير... فأقبلت إلى رسول الله أمشي.. فلما رآني من بعيد تبسم.. فما زال يتبسم إليَّ حتى وقفت عليه... فسلمت عليه بالنبوة.. فرد على السلام بوجه طلقُ..



- فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله.. وأنك رسول الله..
- فقال: الحمدلله الذي هداك.. قد كنت أرى لك عقلاً.. رجوت ألا يسلمك إلا إلى الخير..
- قلت: يارسول الله... إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك.. معانداً للحق.. فأدع الله أن يغفرها لي...
- فقال ﷺ: الإسلام يجب ما كان قبله..
- قلت: يارسول الله.. على ذلك.. فاستغفر لي...

➤ قال: اللهم أغفر لخالد بن الوليد.. كل ما أَوضَع فيه.. من صدٍ عن سبيل الله..

ومن بعدها كان خالد رأساً من رؤوس هذا الدين.. أما إسلامه فكان برسالة غير مباشرة وصلت إليه من رسول الله ﷺ.. فما أحلمه ﷺ وأحكمه..

فلنتبع مثل هذه المهارات في التأثير في الناس.. فلو رأيت شخصاً يبيع سجائر في بقالة فأردت تنبيهه... فأثن أولاً على بقالته ونظافتها.. وادعُ له بالبركة في الربح.. ثم نبهه على أهمية الكسب الحلال... ليشعر أنك لم تنظر إليه بمنظار أسود.. بل أمسكت العصا من النصف..

كن ذكياً.. ابحث عن أي حسنات فيمن أمامك تغمر فيها سيئاته.. أحسن الظن بالآخرين.. ليشعروا بِعَدْلِك معهم فيحبوك..

لمحة..

عندما يقتنع الناس أننا نلحظ حسناتهم كما نلحظ سيئاتهم.. يقبلون منا التوجيه..